الأهرام

المصدر :

التاريخ :

# صياغة السلام المستحيل

إن الاتفاقية التي وقعت بين اسرائيل ومنظمة التحرير الفلسطينية تنتمي الي فئة صغيرة من الاحداث تشمل زيارة ريتشارد نيكسون للصين، زيارة انور السادات للقدس، تحطيم جدار برلين واطلاق سراح نيلسون مانديلا من السجن.

والأمر المشترك بين هذه اللحظات التاريخية هو انها تغير فجأة الطريقة التي ننظر بها الي المشاكل التي كانت تبدو انها مستعصية علي الحل. فالأفكار التي كانت قبل ايام ترفض بصفتها غير واقعية أو سخيفة أو سابقة تعتبر فجأة انها مقبولة للمعلقين والمحللين الذي ينتمون الي التيار العام. والأعمال التي كان من الممكن وصفها بانها استرضاء أو استسلام توصف بانها تنم عن حنكة سياسية. الأبصار ترتفع والعقول تنفتح لفترة وجيزة ويسمح للأمل بأن تنتعش. ويكاد المرء يحس بالتركيبة السياسية وهي تتغير.

طبعا، لم يحقق أي من هذه اللحظات التاريخية الأحلام الكبيرة التي ولدتها. فالنزاعات العميقة الجذور لا تحل بين عشية وضحاها. لكن السبب نفسه، العالم لن يبدو كما كان حالا يصبح ملكان بعيدا عن التصور، امرا يمكن تصوره. لذلك حتي عندما يبقي الطريق المؤدي الي سلام عربي اسرائيلي طويلا ومتعرجا، فإن الانجاز البارز الذي هو في المتناول يجب ان يحظي بما يستحق من تقدير، ويجب ان يعزي الفضل فيه الي اولئك الذين جعلوه امرا ممكنا.

أولا وقبل كل شيء، الفضل يجب ان يعزي الي اولئك الاسرائيليين والفلسطينيين الذين تغلبوا علي عقود من عدم الثقة لصياغة اتفاقية تعرض علي كل طرف شيئا هو بحاجة ماسة إليه. وبالنسبة الي الاسرائيليين، فإن احتمال توفر حياة طبيعية، وامن وقبول من قبل جيرانهم يبدو الآن اقرب قليلا. وبالنسبة الي الفلسطينيين، فإن الفرصة الآن قائمة لإنهاء سنوات الاحتلال الطويلة، وإعادة بناء اقتصاد محطم، وانشاء مؤسسات الدولة خطوة خطوة. وهناك بالنسبة إليهما مخاطر وشكوك. إلا انه تم اكتشاف مصالح متبادلة قوية.

لذلك فإننا نحيي اولئك المحاربين القدامي.. اسحق رابين وشمعون بيريز وياسر عرفات.. الذين اظهروا في اواخر حياتهم العملية صفات رجال الدولة التي ينس الكثيرون من رؤيتها.

والفضل يعود ايضا لزملائهم الذين عملوا طويلا ويكد لوضع تفاصيل هذه الاتفاقية الأولية. ان قراءة متأنية للنص تظهر مهارة حقيقية وحساسية للامور الغامضة واحترام الجوهر مواقف كلا الطرفين.

وتحياتنا للدبلوماسيين المجهولين الذين لعبوه في تسهيل المفاوضات.. وفي المساعدة في كتمان السر إلي ان انتهت الصفقة.

من بين كل مغالطات الأساليب القليلة الماضية. فإن قدرة الاسرائيليين والفلسطينيين الشرقاء بالمثل. علي كتمان السر. هي من اعظم الأمور. تحية للدبلوماسية السرية. ان نقطة تحول تاريخية لا تحصل من فراغ. ولا يساهم في التقليل من اهمية الظرف التنكير بالأمور التي جعلتها ممكنة. لقد قيل الكثير عن الظروف الاقتصادية المحفوفة

www.ethraadl.com

إثراء المعارف الرقمية

الأهرام

بالمشاكل لمنظمة التحرير الفلسطينية، وعن بروز الأصولية الاسلامية، وعن عامل الشيخوخة (توق الزعماء الذين تقدمت بهم السن الي وضع بصماتهم علي التاريخ). لقد ساهم كل واحد بشيء في للعادلة ولربما أثر علي توقيت الاتفاقية، ولكن ماكان من الممكن لهم وحدهم أن يرجحوا الكفة لفائدة الحل الوسط. لقد لحتاج الأمر الي أكثر من ذلك.

لكد الكثير من للحللين اهمية نهلية الحرب الباردة وانهزام صدام حسين بصفتهما عاملين مهمين لتحقيق السلام العربي الاسرائيلي. لاشك بأن هذا صحيح. ويجب إعطاء الفضل للرئيس بوش ووزير الخارجية جيمس بيكر للذين رأيا في هذا للزيج من الأحداث فرصة لدفع عملية صنع السلام بين العرب واسرائيل الي الأمام.

لم ينظر كل شخص الي الأمر كذلك. هنري كيسنجر مثلا حذر من تشجيع مفاوضات ستؤدي حتما الي مأزق وتفشل. ولكن بالرغم من هذه التحذيرات، ذهب بيكر الي الشرق الأوسط ثماني مرات عام ١٩٩١ من أجل الترتيب لمؤتمر مدريد. صحيح أن الاسرائيليين ومنظمة التحرير الفلسطينية قد اكتشفوا في نهلية للطاف قناة أفضل للتفاوض من تلك الي عرضتها مدريد، إلا أنه بدون مدريد وبدون للحادثات التي تبعتها وجرت في واشنطون، كان من للشكوك فيه أن توجد الظروف التي سمحت بحصول ذلك التقدم البارز.

طبعا لا يريد أي سياسي أمريكي أن يتهم بالتدخل في الشؤون الداخلية الاسرائيلية، لكن هذا بالضبط مافعله بوش. فعندما كانت الانتخابات الاسرائيلية تقترب. لم يرد الرئيس أن يبدي بصوته لإسحق شامير بتوفير ضمانات قروض تبلغ عشرة مليارات دولار مادامت اسرائيل تواصل سياسة الاستيطان في الأراضي للحتلة. ولو فعل بوش ذلك. كما كان الكثير من السياسيين.. بمن فيهم بيل كلينتون.. يحثه علي أن يفعل. لربما فاز شامير بانتخابات ١٩٩٢؟ ولبقيت عملية السلام في مأزق حتي يومنا هذا. وعودة حزب العمل الي السلطة في أواسط عام ١٩٩٢. بتأييد أمريكي. كان لحظة نادرة فتحت الطريق أمام اتفاقية بين اسرائيل ومنظمة التحرير الفلسطينية. ولم يكن من للمكن أبدا أن يقوم حزب الليكود بمثل هذه الخطوة.

والدور للعروف الذي في اعداد للسرح لذلك الانجاز لعبته مئات الاتصالات غير الرسمية وشبه الرسمية التي شارك فيها اسرائيليون وفلسطينيون وغيرهم عبر السنين. فقد ساعد الكثير من الأمريكيين والأوروبيين في تسهيل هذه الاجتماعات. والآن أصبح عاديا أن يجتمع الاقتصاديون الاسرائيليون مع نظرائهم الفلسطينيين. وأن يجتمع خبراء الأمن من كلا الجانبين وجها لوجه لبحث ومناقشة أي موضوع، بما في ذلك القدس.

وقد يتساءل للرء هل هذا «المسار الثاني» للدبلوماسية يساعد؟ إنه يوجد مجموعة من الخبراء لدي كلا جانبي النزاع. ويوجد وعي بما هو جوهري وبما هو عرضي في للواقف للعلنة

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية

الأهرام

بقلم :

## وليم كوانت

للمسؤولين. ويسمح بالاطلاق المستمر لبالونات الاختبار. لقد برز الدور النرويجي مما بدا في البداية بأنه محاولة غير رسمية لخرق، والفرق هو أن الحكومة النرويجية، بعكس الولايات المتحدة، كانت مستعدة لأن تضع كامل ثقلها وراء هذا الجهد عندما بدا يظهر بأنه جدي. والدرس هنا هو أن «دبلوماسية المواطن» تلك في حين أنها غير قادرة على انهاء الصفقات، يمكنها أن تغرس بذور الاتفاقيات وأن توجد مؤيدين للحلول الوسط المطلوبة.

وبالإضافة الى كل العناصر التي تساهم في خلق لحظات تغيير تاريخية، هناك أيضا الحاجة الى فكرة، الى رؤية يمكن أن تتشكل حولها اتفاقية. وفي هذه الحالة، فإن الفكرة المركزية يمكن أن تعود الى الدبلوماسية التي سبقت اتفاقيتي كامب ديفيد عام ١٩٧٨. لقد طلع رئيس الوزراء الاسرائيلي مناحم بيجين بفكرة «الحكم الذاتي» للفلسطينيين في الضفة الغربية وغزة بصفته أكثر ما يمكن أن يأمله الفلسطينيون. وقد نجح الرئيس كارتر ووزير الخارجية سايروس فانس ومستشار الامن القومي زبجنيو برجينسكي الذين عملوا يدا واحدة، في تحويل عرض بيجين المعدود الى فكرة قيام الفلسطينيين بانتخاب سلطة حكم ذاتي خاصة بهم في الضفة الغربية وغزة خلال فترة لا تتعدى خمس سنوات، تجري خلالها مفاوضات حول اتفاقية نهائية. وقد كتبت هذه الأمور في اتفاقيتي كامب ديفيد وتنعكس حرفيا تقريبا في الاتفاق الأخير بين اسرائيل ومنظمة التحرير الفلسطينية. صحيح أن ١٥ عاما مضت قبل أن تؤتي الفكرة ثمارها، لكنها أصبحت مع الوقت نقطة مرجعية مقبولة للمفاوضات.

ويجب ألا ننتقاضى عن الدور الهام الذي لعبته مصر ونحن نوالي مدح عرابي هذه الاتفاقية طبعا أنور السادات كسر طوق المحرمات حول السلام مع اسرائيل. والآن يتبع عرفات خطاه.. بكثير من التأييد المستمر من نظام حسني مبارك. فمصر هي الوحيدة تقريبا من بين الدول العربية التي أيدت منظمة التحرير الفلسطينية، محاولة إقناع الأمريكيين والاسرائيليين بأن عرفات سوف يفي في النهاية بالمطلوب. ويبدو أنه يقوم بذلك الآن بمساعدتهم. وكما ينظر الى كل لحظة تاريخية بأن لها كثيرا من الأسبقيات الهامة. فإن من الصحيح أيضا أن الكثير يجب أن يعمل لتحقيق ماتكتنفه الصفقة بين اسرائيل ومنظمة التحرير الفلسطينية من احتمالات.

إن العبء سيقع أولا وقبل كل شيء على أطراف الاتفاقية. فعليها أن تتعامل مع منتقديها المتطرفين. وعليها أن تظهر لأعدائها التاريخيين أن الالتزامات التي قدمتها تنفذ بنية حسنة. وسيحتاج الاسرائيليون الى أن يوصلوا الى الفلسطينيين العاديين رسالة تقول أن هذه هي بداية علاقات جديدة. وليست وقت حيل وخدع تستهدف إضعاف وتقسيم الفلسطينيين. وعلى الفلسطينيين أن يبرهنوا للاسرائيليين المتشككين أن بإمكانهم تسيير أمورهم وحياتهم كجيران مخلصين الى جانب منافسيهم الذين يطالبون بوطن في الأرض المقدسة.

لم أتحدث إلا قليلا عن دور حكومة كلينتون. فهناك حاجة الى تقديم ماهو أكثر من مجرد توفير البيت الأبيض لاحتفال التوقيع. وواقع أن كلا الطرفين يريد أن توقع الاتفاقية تحت اشراف الولايات المتحدة ليس صدفة. انهما يعرفان أنهما سيحتاجان الى المساعدة لتنفيذ الاتفاقية. مساعدة دبلوماسية ومعنوية ومالية وأمنية. وليس من الضروري توفير كل ذلك من قبل حكومة كلينتون، ويجب ألا يكون الأمر كذلك. أن المساعدة الاقتصادية للفلسطينيين يمكن أن تأتي من أوروبا واليابان وبعض البلدان العربية. فضلا عن مساهمتنا نحن. ولكن نظرا الى أن الانجاز البارز قد تحقق عبر الدبلوماسية السرية، فإن الكثير من المتابعة سوف يتم عبر الأقنية الدبلوماسية الطبيعية. والولايات المتحدة طبعا سوف تريد أن تستأنف حوارها مع منظمة التحرير الفلسطينية على أعلى المستويات وبعدها ستكون في وضع أفضل مما كانت عليه في الماضي للمساعدة في التوسط في الوصول الى صفقات في المستقبل.

ويبدو أن الدور الأكثر والجوهري أكثر بالنسبة الى الولايات المتحدة الآن هو الضغط من أجل النجاح في الوصول الى اعلان للمبادىء فيما يتعلق بالجبهة الاسرائيلية السورية لتأمين تأييد سورية للاتفاقية بين اسرائيل ومنظمة التحرير الفلسطينية. لقد حقق وزير الخارجية وارين كريستوفر فعلا بعض التقدم كوسيط، والخطوط العريضة للاتفاقية ظاهرة. إلا أنه مازال يجب اتخاذ قرارات سياسية صعبة. وسيكون من الأمور الأساسية بالنسبة إلى كلينتون أن يعرض عند مرحلة ما الاجتماع بالرئيس السوري حافظ الأسد للمساعدة في إعداد اتفاقية، ولاشك أنه يجب تقديم تطمينات للاسرائيليين وهم يعملون على التوصل الى ترتيبات أمنية جديدة في مرتفعات الجولان. لذلك، فإننا في الوقت الذي نستمتع فيه بهذه اللحظة التاريخية، علينا أن لا نستنتج أن الدور الأمريكي «كشريك كامل» قد انتهى. بالعكس فإن هذا الوقت هو وقت وضع كامل ثقلنا وراء أحد التطورات الايجابية القليلة التي حصلت في الشرق الأوسط في السنوات الأخيرة. فمن يعرف؟ إذا أثمرت هذه الاتفاقية، فإن الهدف المزعوم لتشجيع السلام وتطوير الديمقراطية في الشرق الأوسط قد يبدو واقعيا. وهذا سبب آخر يفسر لماذا ينتهي هذا الإنجاز البارز بين اسرائيل ومنظمة التحرير الفلسطينية الى فئة قليلة من تلك اللحظات التي صنعت التاريخ وتستحق تأييدنا المتحمس.

**كاتب هذا المقال باحث في معهد بروكنجز ومؤلف كتاب «عملية السلام» الدبلوماسية الأمريكية في النزاع العربي الاسرائيلي منذ ١٩٦٧ والمرشح سفيرا للولايات المتحدة الأمريكية في القاهرة.**

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية